المحاضرة رقم02: العوامل المؤثرة في النشاط الحرفي والتجاري:

نقصد بالنشاط الحرفي والتجاري تلك العملية الاقتصادية التي تعبر عن تفاعل الإنسان مع بيئته ودرجة تغلبه على نواقص الطبيعة فيه واستثمار فائضها بالتجارة. لذلك نجد أن هناك عوامل مؤثرة ساهمت في رواج هذا النشاط أو العكس:

والقصد من المغرب الإسلامي (الغرب الإسلامي) في لفترة الوسيطة، ذلك المكان الجغرافي المحدد من مصر شرقا إلى حدود المحيط الأطلسي ونزيد عليه أراضي شبه الجزيرة الإبيرية، لذلك فأول عامل مؤثر في نشاطها الحرفي هو العامل الجغرافي المتنوع، وفكيف أثر في واقعه الاقتصادي؟

❖ **العامل الجغرافي:**

إن طبيعة الأرض وموقعها تؤثر تماما في تحديد نوع المناخ وتوزيع المياه ومن ثم تحديد مناطق الاستقرار والطرق المتحكمة فيها.

تتكون أرض المغرب–الشمال الإفريقي– من بنية تضاريسية هامة لها خصوصيتها كونها أقل قدما من جنوب البلاد (أرض الصحراء)، فتتكوّن من سلاسل جبلية وهضاب تتخللها وديان، مكونة سدا موازيا لساحلها البحري بوجه عام. أكبر هذه السلاسل جبل درن (أطلس الكبير) قد يصل ارتفاعه إلى أربعة آلاف متر؛ ثم جبال صنهاجة (أطلس الوسطى) وتحف جبال صنهاجة هضبتان (وهران ومراكش)، وفي الشمال (أطلس الريف) وتكاد سلسلة الجبال في البلاد الشرقية أن تلغي السهول يزداد ارتفاعها كلما اتجهت شرقا حتى تصل منها إلى قسنطينة والأوراس، ثم تصبح كتلا متقطعة قصيرة لتصل إلى بونة–عنابة كحد فاصل بين أطلس التل والساحل التونسي الشبه الصحراوي، فنجد شطوط وأودية تتخلل هذه الجبال العالية (الأطلس التلي) ؛كما نجد جبال الونشريس–لتصبح هذه المناطق أوسع من الأطلس التلي إلى العرض الصحراوي جنوبا ومن واد ملوية غربا إلى نهر الشلف في الشرق.

أما البلاد الأندلسية–شبه الجزيرة الإبيرية: فتتكون من هضبة تزيد عن 200م، ثم السهول الساحلية الواسعة، فجعل التنقل أيسر بحرا من الاتصال عبر الخطوط الداخلية، تحف الهضبة سلاسل جبيلة: كجبال البرانس في الشمال وسلاسل شيلر (سيرا نفادا) جنوبا وجبال سرقسطة (جبال الهضبة الإبيرية)

في الشمال الشرقي، ومنها نجد جبال الشارات تتخللها سهول وأنهار، كالوادي الكبير ووادي مرسية وشقورة فأثرت بطبيعة الحال على مناخه.

❖ أثر الواقع الجغرافي:

تحدد المناطق الجغرافية أماكن الاستقرار السكاني فيها منذ أقدم العصور، فاستقر الناس في المدن لافي الأقاليم التي تجزئها التضاريس وهذه المدن لا يضبطها إلا سلطان قاهر.

أما بالنسبة للنشاط التجاري فهذه البيئة الجغرافية جعلتها حلقة وصل مع العالم أنداك شمالا وجنوبا (أروبا وبلاد السودان) فكان البحر طريقا مائيا هاما لنقل السلع داخلا وخارجا جعلها مفتوحا أمام التبادلات التجارية.

أيضا الحدود الجغرافية المتجاورة مع بلاد ما وراء الصحراء أوجدت شبكة طرق ومسالك عرفت بتدفق التجار عبرها لنقل السلع داخلا وخارجا.

أما بحرا من عوارض الطبيعة الرياح السريعة، فكان التجار ينتظرون الرياح الشرقية في فصلي الربيع والخريف، كما أن عائق الطبيعية كان يتحكم في ارتفاع الأسعار أو انخفاضها.

اليد العاملة: عرفت بلاد المغرب أيادي عاملة ماهرة في صنعتها مهم صناع في النسيج والجلود، فيذكر ابن أبي زرع أن أهل القرويين بفاس كانوا صناعا، في تلمسان كانوا أصحاب صنعة (النسيج)

الاستقرار والأمن:عاملان أساسيان في استبحار العمران وتطور الصنائع واذا عمت الفتن والبلوى كالحرب والجوائح عم الفساد وانتشر الفقر.

عامل الهجرة:على سبيل المثال الهجرة الاندلسية لمدن بلاد المغرب وادخالهم لحرف جديدة كصناعة العطور و الزجاج والنسخ .

اهتمام السلاطين بالنشاط الحرفي (صناعة، عمارة): اهتم بعض السلاطين أيضا بإقامة علاقات تجارية داخل وخارج البلاد، فأنشأوا الطرق والأسواق التجارية اليومية والأسبوعية التي كانت تخضع لتنظيمات صارمة مراقبة فعين السلاطين محتسبين على الأسواق يقومون عليها.

احتل النشاط الحرفي مكانة معتبرة في اقتصاد دول المغرب لأنه استقطب شريحة من اليد العاملة، وهذا يتشجع من السلاطين فمثلا في عهد الدولة الزيانية استعان أبو حمو الأول 707م-718م وابنه الأمير أبو تشفين (718-737) بالصناعة من أهل غرناطة (هندسة البساتين-صناعة البناء) كما اهتم السلطان أبو حمو موسى الثاني بالحرفة فأوصى ولي عهده بذلك في كتابه "**واسطة السلوك في سياسية الملوك**".

كما اهتم عبد المؤمن ابن علي بالصنعة خاصة البناء والطبخ فقد أمر بتأليف كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين وكتاب مختصر في الأغذية فيه عناية خاصة بالطعام والخبز واللحوم...، لأن خلفاء الموحدون عرفوا حياة الترف بكل صوره، حيث اعتنوا فيها على مآدب كبرى للوافدين تدوم 15 يوما.